القرآن الكريم

بالرسم العثماني

وبهامشه

تفسير الإمامين الجليلين

جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي (٧٩١ - ٨٦٤هـ) و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ)

مذيلاً

بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي

قدم له

فضيلة المحدث المحقق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

دار ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم التفسير

بقلم
فضيلة المحدث المحقق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عِوَجاً، قيِّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً.

والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي شرَّفه ربه تبارك وتعالى بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وقال له في كتابه: ﴿ ونزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين ﴾. وقال له أيضاً: ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾. وخاطبه بقوله: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ﴾، وعلى آله وأصحابه الذين أنزل عليهم كتاباً ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾.

وبعد: فإن كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نَبأُ ما قبلكم، وخَبَر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، هو الجد ليس بالهزل، من تركه من جبَّار قصمه الله، ومن ابتغى الهُدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذِّكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلَق على كثرة الرد، لا تنقضي عجائبه، لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إنا سمعنا قرآناً عَجَباً يهدي إلى الرُّشد فآمنا به ﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حَكَمَ به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

فضل من تعلم القرآن وعلمه

قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه» رواه البخاري في «صحيحه» عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقال أيضاً: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيَعْلَمَ أو يقرأ آيتين من كتاب الله عزَّ وجل خير

له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادِهنَّ من الإبل» رواه مسلم في «صحيحه» عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

وقال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

فَضْلُ قِــرَاءَةِ القُــرْآن

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها: لا أقول ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» رواه الترمذي والدارمي وغيرهما، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

وقال أيضاً: «الماهر بالقرآن مع السَّفَرةِ الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعْتع فيه وهو عليه شاق، له أجران» رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها.

وقال: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب» رواه الترمذي وغيره، وهو حديث صحيح.

شَفَاعَــةُ القُــرْآنِ لِصَــاحِبِهِ

قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه.

وقال أيضاً: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين يعملون به، تقدمُهُ[1] سورة البقرة وآل عمران، تُحاجَّان عن صاحبهما» رواه مسلم في «صحيحه» عن النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه.

وقال: «القرآن شافع مشفَّع، وماحل[2] مصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار» رواه ابن حبان في «صحيحه» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. ورواه الطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

وقال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: أي رب، منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه، قال: فيُشفَّعان»

(١) أي تتقدمه.

(٢) أي خصم مجادل مصدَّق فيما يرفع من مساوي تارك العمل بالقرآن.

أي: فتقبل شفاعتهما. رواه أحمد، والطبراني، والحاكم، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح.

الأمر بتعهد القرآن

قال رسول الله ﷺ: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسُ محمد بيده، لهو أشد تفلُّتاً[1] من الإبل في عُقُلها» رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقال أيضاً: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت» رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وقال: «استذكروا القرآن، فإنه أشد تفصِّياً[2] من صدور الرجال من النَّعَم بعُقُلها» رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

رفع شأن المسلمين بالقرآن

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين» رواه مسلم في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فضيلة قارئ القرآن

قال رسول الله ﷺ: «مَثَل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجة، طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها» رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

مكانة حامل القرآن الذي يعمل به

قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق[3] ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح.

(١) عند البخاري: أشد تفصياً، والمعنى واحد.
(٢) أي تفلّتاً.
(٣) أي في درج الجنة بقدر ما حفظته من آي القرآن وعملت به.

نُزُولُ السَّكِينَةِ لِقِرَاءَةِ القُرْآن

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين[1] فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفِر منها، فلما أصبح أتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «تلك السكينة تنزَّلت للقرآن» رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما».

الأمر بقراءة القرآن ابتغاء وجه الله وعدم استعماله للدنيا والأكل به

قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن، واعملوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه، ولا تأكلوا، ولا تستكثروا به» رواه أحمد والطبراني وغيرهما عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

وقال أيضاً: «اقرؤوا القرآن، وابتغوا به الله تعالى، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القِدْح[2]، يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه» رواه أحمد وأبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حديث حسن.

استِحْبَابُ تحسِينِ الصَّوْتِ بالقُرْآن

قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً» رواه الحاكم عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

وقال أيضاً: «إن من أحسن الناس صوتاً الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله» رواه الدارمي وغيره، وهو حديث صحيح.

فضل سورة الفاتحة

عن أبي سعيد بن المعلَّى رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أُعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، قال: «الحمد لله ربِّ العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» رواه البخاري في «صحيحه».

فضل سورة البقرة

قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١) تثنية شطن، وهو الحبل الطويل المضطرب، وإنما ربطه بشطنين لقوته وشِدَّته.

(٢) القدح: السهم قبل أن يراش، والمعنى يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة للرياء والسُّمعة.

وقال أيضاً: «اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخْذَها بركةٌ، وتركها حسرةٌ، ولا تستطيعها البطلة» يعني السحرة. رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

فضـل آية الكرسي

عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ قال: فضرب في صدري وقال: «والله لِيَهْنِكَ[1] العلم أبا المنذر» رواه مسلم في «صحيحه».

فضل آخر سورة البقرة

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[2] رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

فضل سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً[3] من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه مَلَك فقال: هذا مَلَك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتَهما. لم يؤتَهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» رواه مسلم في «صحيحه».

فضل سورة الكهف

قال رسول الله ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال» رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

فضل سورة الفتح

عن عمر رضي الله عنه قال: جئتُ رسول الله ﷺ فسلَّمت عليه فقال: «لقد أُنزل عليَّ الليلة

---

(١) أي: ليكن العلم هنيئاً لك.

(٢) أي أجزأتاه عنه من قيام الليل بالقرآن. وقيل: معناه: كفتاه من كل سوء، وقيل: كفتاه شر الشيطان. وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن.

(٣) أي صوتاً كصوت الباب إذا فُتح.

سورة لهي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ: ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ لما فيها من الإشارة بالمغفرة والفتح. رواه البخاري في «صحيحه».

فضل سورة تبارك

قال رسول الله ﷺ: «إن سورة في القرآن ثلاثون آية، شفعت لصاحبها حتى غُفِر له، وهي تبارك الذي بيده الملك» رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، وهو حديث صحيح.

فضل سورة قل يا أيها الكافرون

قال رسول الله ﷺ: «قل يا أيها الكافرون، تعدل ربع القرآن» رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح.

وقال أيضاً: «اقرأ: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ عند منامك، فإنها براءة من الشرك» رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

فضل سورة قل هو الله أحد

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال في: ﴿ قل هو الله أحد ﴾: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن» رواه البخاري في «صحيحه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن» رواه مسلم في «صحيحه».

فضل المعوذتيـن

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ألم تر آياتٍ أنزلت عليَّ هذه الليلة، لم يُرَ مثلهن قط ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾، و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾» رواه مسلم في «صحيحه».

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أيضاً قال: بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء، إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوَّذ بـ ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾، و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ويقول: «يا عقبة تعوذ بهما، فما تعوذ متعوِّذ بمثلهما» رواه أبو داود في «سننه» وهو حديث صحيح.

فضل محبة سماع القرآن من الغير

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن» فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة

النساء، حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾، قال: «حسبك الآن» فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان. رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال لأُبي بن كعب رضي الله عنه: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك» قال: آلله سمَّاني لك؟ قال: «الله سمَّاك لي»، قال: فجعل أُبيٌّ يبكي. رواه مسلم في «صحيحه».

فضل مدارسة القرآن

قال رسولُ الله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه» رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾.

هذه الطبعة من التفسير

في مستهل هذا العام طلب إليَّ الأستاذ الفاضل علي مستو صاحب «دار ابن كثير» أن أقدِّم لهذه الطبعة الجديدة من «تفسير الجلالين» فاستجبت له، وحرصت على أن تضم مقدمتي بعض ما جاء في فضائل السور وآداب قراءة القرآن، وأما ما يتعلق بالكلام على بعض المواطن التي فيها بعض الإشكالات والإسرائيليات التي تحط من قدر بعض الأنبياء والمرسلين، مثل قصة هاروت وماروت، وقصة آدم عليه السلام، ودخوله الجنة ووسوسة الشيطان له، وقصة داوود عليه السلام، وما فيها من قدح في نبوته، وقصة سليمان عليه السلام، وما فيها من قصص إسرائيلية، وقصة يوسف عليه السلام، وما جرى له في حكايته مع امرأة العزيز. وكقصة الغرانيق الباطلة، وأن رسول الله ﷺ قال: «تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى» وهي من وضع الزنادقة. وكقصة زيد بن حارثة مع زينب بنت جحش، وأن رسول الله ﷺ، وقع في نفسه حبها، وهو باطل من القول.

فعلى القارىء الكريم أن يتنبه إلى زيف أمثال هذه القصص والحكايات إذا وقف عليها أثناء قراءته لهذا التفسير وسواه، فإنها من وضع الزنادقة المجرمين وبعض المارقين ممن تعاون معهم، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾.

هذا وقد سبق لي أن تكلمت عن هذه الإشكالات والإسرائيليات بتوسع مفيد بالاشتراك

مع زميلي الأستاذ الشيخ شعيب الأرناؤوط، وذلك أثناء تحقيقنا لكتاب «زاد المسير في علم التفسير» للإمام الحافظ عبد الرحمن بن الجوزي، المطبوع في المكتب الإسلامي بدمشق وبيروت.

وتمتاز هذه الطبعة ـ من «تفسير الجلالين» ـ عن سابقاتها بأنها حظيت بقراءة عالم فاضل هو الأستاذ الشيخ محمد كريم راجح ـ حفظه الله تعالى ونفع به ـ فقام في أثناء قراءتها بتدوين بعض التعليقات النافعة التي تتصل بوجوه الخلاف في القراءات، وغير ذلك من التعليقات المفيدة.

وبتعريف نافع بالجلالين كتبه ولدي وتلميذي العزيز الأستاذ محمود الأرناؤوط، وفقه الله تعالى لما فيه الخير والفلاح في الدُّنيا والآخرة.

وباحتوائها على مصحف الحفاظ الذي خطه الخطاط الدمشقي المبدع الأستاذ عثمان طه، وذلك ما تنفرد به عن سواها من الطبعات السابقة.

وأرى من الإنصاف أن أُشيد بالجهد المبرور الذي بذله الأستاذ سمير العطار في تصحيح تجارب طبع هذا التفسير، وبما كان للأستاذ محمد سهيل الدِّبس من مشاركة في تصحيح التجربة الأخيرة منها.

ولقد بذلت دار ابن كثير أقصى ما أمكنها من الجهد في سبيل إخراج هذه الطبعة الجديدة من هذا التفسير على أحسن حال شكلاً ومضموناً، فجزى الله تعالى القائمين عليها أحسن الجزاء وأحسن إليهم يوم الدِّين.

وختاماً فإني أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا التفسير المسلمين في كل مكان من أطراف العالم الإسلامي الكبير، وأن يرحم الجلالين برحمته الواسعة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق في ١/ شعبان/ ١٤٠٧ هـ

خادم السُّنَّة النَّبويَّة

أبو محمود

عبد القادر الأرناؤوط

* * *

الإمام جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي

هو الإمام الفقيه الأصولي النحوي المفسر جلال الدِّين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المَحَلِّي.

ولد بمصر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وأخذ العلم عن جمهرة من العلماء الأفاضل منهم:

العلَّامة بدر الدِّين محمود بن شمس الدِّين الأقصرائي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، المتوفى سنة (٨٢٥) هـ[١].

والعلَّامة برهان الدِّين إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن سليمان بن سليم المصري البيجوري، المتوفى سنة (٨٢٥) هـ[٢].

وقاضي القضاة شمس الدِّين محمد بن أحمد بن عثمان بن نُعَيْم بن محمد بن حسن بن غنام البِسَاطي، المتوفى سنة (٨٤٢) هـ[٣].

والعلَّامة علاء الدِّين محمد بن محمد بن محمد البخاري، المتوفى سنة (٨٤١) هـ[٤].

والعلَّامة المُحدِّث شرف الدِّين محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود، المعروف بابن الكُوَيك، الربعي التكريتي ثم الإسكندري، المتوفى سنة (٨٢١) هـ[٥].

(*) مترجم في «الأعلام» للزركلي (٥/٣٣٣) الطبعة الرابعة، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (١/٤٤٣ - ٤٤٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٧/٣٠٣ - ٣٠٤) طبعة القدسي، و«صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور» لابن إياس ص (٦٨)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٧/ ٣٩ - ٤١)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٨/ ٣١١ - ٣١٢).

(١) انظر «شذرات الذهب» (٧/ ١٧٢).

(٢) انظر «شذرات الذهب» (٧/ ١٦٩)، و«معجم المؤلفين» (١/ ٧).

(٣) انظر «شذرات الذهب» (٧/ ٢٤٥ - ٢٤٦)، و«الأعلام» (٥/ ٣٣٢).

(٤) انظر «شذرات الذهب» (٧/ ٢٤١ - ٢٤٢).

(٥) انظر «شذرات الذهب» (٧/ ١٥٢).

وقد برع المَحَلِّيُّ في الفنون، فقهاً، وكلاماً، وأصولاً، ونحواً، ومنطقاً، وغيرها. وكان علاَّمةً، آية في الذكاء والفهم. كان بعض أهل عصره يقول فيه: إنَّ ذِهْنَهُ يثقُب الماس.

ولم يكن يقدر على الحفظ، وحفظ كراساً من بعض الكتب، فامتلأ بدنه حرارة.

وكان غرة عصره في سلوك طريق السلف، على قدمٍ من الصلاح، والورع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم، ولا يأذن لهم بالدخول عليه.

وكان عظيم الحدة، لا يراعي أحداً في القول، يحمل في مجالسه على قضاة القضاة وغيرهم، وهم يخضعون له ويهابونه ويرجعون إليه.

وظهرت له كرامات كثيرة، وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع.

وولي تدريس الفقه بالمؤيدية، والبرقوقية. وقرأ عليه جماعة، وكان قليل الإقراء والتَّحديث، يغلب عليه الملل والسآمة.

وكان متقشِّفاً في ملبوسه ومركوبه، ويتكسَّب بالتجارة.

وألَّف كتباً تُشدُّ إليها الرِّحال، في غاية الاختصار، والتحرير، والتنقيح، وسلامة العبارة، وحسن المزج والحلّ، وقد أقبل عليها الناس وتلقَّوها بالقبول، وتداولوها. منها: «كنز الراغبين»، و«شرح المنهاج»، و«البدر الطالع في حل جمع الجوامع»، و«شرح الورقات»، و«الأنوار المضيئة»، و«القول المفيد في النيل السعيد»، و«الطب النبوي»، و«تفسير القرآن» ـ الذي بين يدي القارىء الكريم ـ وهو أجلُّ كتبه التي لم تكمل، كتب منه من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن، في أربعة عشر كراساً، وكتب على الفاتحة وآيات يسيرة من سورة البقرة، فأتمه الحافظ جلال الدِّين السُّيُوطي، فاشتهر فيما بعد بـ«تفسير الجلالين».

تُوفِّي في أول يوم من سنة أربع وستين وثمانمائة في مصر ودفن فيها، رحمه الله تعالى وأحسن إليه.

* * *

الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

هو الإمام الحافظ المؤرخ الأديب المحقق المدقق جلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدِّين الخضيري السُّيُوطي.

ولد في مستهل شهر رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، ونشأ في القاهرة يتيماً، فقد مات والده وعمره خمس سنوات، وأخذ العلم عن جمهرة غفيرة من العلماء في فنون مختلفة، منهم:

الإمام الفقيه الأصولي النحوي المفسر جلال الدِّين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المَحَلِّي، المتوفى سنة ٨٦٤ هـ[١].

والإمام الفقيه القاضي الأصولي شرف الدِّين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد المُنَاوي، المتوفى سنة (٨٧١) هـ[٢].

والإمام المفسر المُحدِّث الأصولي المتكلم تقي الدِّين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن ابن علي الشُّمُنِّي، المتوفى سنة (٨٧٢) هـ[٣].

والإمام النحوي الأصولي محيي الدِّين محمد بن سليمان[٤] بن سعد بن مسعود الرُّومي الكافِيجي، المتوفى سنة (٨٧٩) هـ[٥].

والإمام الفقيه النحوي المحقق سيف الدِّين محمد بن محمد بن عمر بن قُطْلُوبُغَا البكتمري المصري، المتوفى سنة (٨٨١) هـ[٦].

(*) مترجم في «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٢)، و «بدائع الزهور في وقائع الدهور» لابن إياس (٤/ ٨٣ ـ ٨٤)، و «حسن المحاضرة» للمترجم (١/ ٣٣٥ ـ ٣٤٤)، و «شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ٥١ ـ ٥٥) طبعة القدسي، و «الكواكب السائرة» للغزي (١/ ٢٢٦ ـ ٢٣١)، و «معجم المؤلفين» لكحالة (٥/ ١٢٨ ـ ١٣١).

(١) وهو صاحب الترجمة التي قبل هذه.

(٢) انظر «شذرات الذهب» (٧/ ٢٧٨)، و «الأعلام» (٨/ ١٦٧).

(٣) انظر «شذرات الذهب» (٧/ ٣١٣ ـ ٣١٤)، و «الأعلام» (١/ ٢٣٠).

(٤) في «الكواكب السائرة»: «ابن سليم».

(٥) انظر «شذرات الذهب» (٧/ ٣٢٦ ـ ٣٢٨)، و «الأعلام» (٦/ ١٥٠).

(٦) انظر «شذرات الذهب» (٧/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

وقد برع السُّيُوطيُّ في العلوم العقلية والنّقلية، كعلوم العربية، والفقه، والحديث، والتفسير، والتاريخ، والأصول، وغيرها. وكان آية كبرى في سرعة الفهم والتأليف، حتّى إنه كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً، وكان مع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة.

وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه رجالاً، وغريباً، ومتناً، وسنداً، واستنباطاً للأحكام منه. وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث. قال: ولو وجدت أكثر لحفظته. قال: ولعله لا يوجد على وجه الأرض الآن أكثر من ذلك.

ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاشتغال به. والإعراض عن الدُّنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحداً منهم، وشرع في تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس واعتذر عن ذلك في مؤلفٍ سمّاه بالتنفيس، وأقام في روضة المقياس، فلم يتحول منها إلى أن مات.

وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها، وأهدى إليه السلطان قَانْصُوه الغُوري[1] خصياً وألف دينار، فرد الألف وأخذ الخصي فأعتقه وجعله خادماً في الحجرة النبوية، وقال لقاصد السلطان: لا تعد تأتنا بهدية قطُّ، فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك، وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه.

وقد أخذ العلم عنه، عدد كبير من الطلبة الذين أصابوا من بعد شهرة عمت الآفاق.

وقد خلّف السُّيُوطي مصنفات كثيرة ذوات فنون متنوعة جعلته في طليعة المكثرين من علماء المسلمين، ومن أشهر تلك المصنفات: «الدر المنثور في التفسير المأثور»، و«الجامع الكبير»، و«الجامع الصغير»، و«شرح شواهد مغني اللبيب»، و«الشماريخ في علم التاريخ»، و«لب اللباب في تحرير الأنساب»، و«الإتقان في علوم القرآن»، و«حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»[2].

مات في ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة في منزله بروضة المقياس بالقاهرة، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة، رحمه الله تعالى وأحسن إليه.

* * *

---

(١) انظر «شذرات الذهب» (٨/١١٣ ـ ١١٥)، و«الأعلام» (٥/١٨٧).

(٢) سبق أن نوهت إلى أن السُّيُوطيَّ أتم تفسير شيخه الإمام جلال الدِّين المَحَلِّي، الذي اشتهر فيما بعد بـ«تفسير الجلالين».

بسم الله الرحمن الرحيم